سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ
وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾
إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

٢٨٢

سورة الإسراء

معانى الكلمات :

سبحان : تنزيها لله . **أسرى** : جعل البراق يسرى به ﷺ ليلاً .

آياتنا : عجائب قدرتنا . **فجاسوا** : فترددوا لطلبكم باستقصاء .

خلال : وسط . **الكرة** : الدولة والغلبة .

أكثر نفيرا : أكثر عدداً أو عشيرة من أعدائكم .

ليسوؤوا وجوهكم : ليحزنوكم حزنا يظهر على وجوهكم .

ليتبروا : ليهلكوا ويدمروا .

ما علوا : ما استولوا عليه .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن تتعرف على حكمة الإسراء بالنبى ﷺ .

٢ ـ أن تعلم أهمية المسجد الأقصى فى مسيرة الدعوة الإسلامية .

٣ ـ أن تقف على إفساد بنى إسرائيل فى الأرض وعقاب الله لهم .

المحتوى التربوى :

تبدأ الآيات بالحديث عن معجزة الإسراء التى كانت مظهراً من مظاهر التكريم الإلهى لخاتم الأنبياء والمرسلين ودليلا واضحا على قدرة الله عز وجل ـ فى صنع العجائب والغرائب ، حيث نقله ـ تعالى ـ بقدرته ليلا فى وقت قصير بالبراق من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس (تلك معجزة الإسراء) ثم صعد به إلى السماء ليطلعه على عجائب قدرته (وتلك معجزة المعراج) .

وتذكر صفة العبودية فى مقام الإسراء والعروج إلى الدرجات التى لم يبلغها بشر ؛ وذلك كى لا ننسى هذه الصفة، ولا يلتبس مقام العبودية بمقام الألوهية .

والرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير ، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، إلى محمد خاتم النبيين ﷺ ، وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعا ، يقول صاحب الظلال : « وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله ، واشتمال رسالته على هذه المقدسات ، وارتباط رسالته بها جميعا ، فهي رحلة ترمز إلى أبعد من حدود الزمان والمكان » .

قال الشوكاني : « الذى دلت عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة هو ما ذهب إليه معظم السلف والخلف من أن الإسراء بجسده وروحه يقظة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات ، ولا حاجة إلى التأويل وصرف هذا النظم القرآنى وما يماثله من ألفاظ الأحاديث إلى ما يخالف الحقيقة » .

والإسراء آية صاحبتها آيات ، وما أحسن ما قاله ابن إسحاق : « كان فى مسراه ﷺ وما ذكر منه بلاء وتمحيص وأمر من أمر الله فى قدرته وسلطانه فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق ، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأسرى به ـ سبحانه وتعالى ـ كيف شاء ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التى يصنع بها ما يريد » .

ورحلة الإسراء نقلة عجيبة بالقياس إلى مألوف البشر ، والمسجد الأقصى هو طرف الرحلة ، والمسجد الأقصى هو قلب الأرض المقدسة التى أسكنها الله بنى إسرائيل ثم أخرجهم منها .

وينتقل السياق إلى ذكر كتاب موسى ـ التوراة ـ وما اشتمل عليه من إنذار لبنى إسرائيل وتذكير لهم بجدهم الأكبر ـ نوح ـ العبد الشكور ، وآبائهم الأولين الذين حملوا معه فى السفينة ، ولم يحمل معه إلا المؤمنون ، ذلك الإنذار وهذا التذكير مصداق لوعد الله ألا يعذب الله قوما حتى يبعث إليهم رسولا ينذرهم ويذكرهم فلا يعتمدوا إلا على الله وحده ، ولا يتجهوا إلا إلى الله وحده ، فهذا هو الهدى ، وهذا هو الإيمان ، وفى ذلك الكتاب الذى آتاه الله لموسى ليكون هدى لبنى إسرائيل ، أخبرهم بما قضاه عليهم من تدميرهم بسبب إفسادهم فى الأرض ، وتكرار هذا التدمير مرتين لتكرر أسبابه من أفعالهم ، وأنذرهم بمثله كلما عادوا إلى الإفساد فى الأرض ، تصديقا لسنة الله الجارية التى لا تتخلف .

ولقد قضى الله لبنى إسرائيل فى الكتاب الذى آتاه موسى أنهم سيفسدون فى الأرض مرتين ، وأنهم سيعلون فى الأرض المقدسة ويسيطرون ، وكلما ارتفعوا فاتخذوا الارتفاع وسيلة للإنسان سلط عليهم من عباده من يقهرهم ويستبيح حرماتهم ويدمرهم تدميرا ؛ المرة الأولى : يعلون فى

الأرض المقدسة ، ويصبح لهم فيها قوة وسلطان ، فيفسدون فيها فيبعث الله عليهم عبادا من عباده أولى بأس شديد، وأولى بطش وقوة ، يستبيحون الديار ، ويروحون فيها ويغدون باستهتار ، ويطؤون ما فيها ومن فيها بلا تهيب ، وكان وعداً مفعولا لا يخلف ولا يكذب .

يقول صاحب الظلال : « حتى إذا ذاق بنو إسرائيل ويلات الغلب والقهر والذل ، فرجعوا إلى ربهم،وأصلحوا أحوالهم وأفادوا من البلاء المسلط عليهم، وحتى إذ استعلى الفاتحون وغرتهم قوتهم ، فطغوا هم الآخرون وأفسدوا فى الأرض أدال الله للمغلوبين من الغالبين ، ومكن للمستضعفين من المستكبرين ثم تتكرر القصة من جديد » .

ولم يذكر السياق ما وقع من بنى إسرائيل بعد الكرة من إفساد فى الأرض ، اكتفاء بذكره من قبل ، ويثبت ما يسلطه عليهم فى المرة الآخرة بما يرتكبونه معهم من نكال يملأ النفوس بالإساءة حتى تفيض على الوجوه ، ويستبيحون المقدسات ويستهينون بها ، ويدمرون ما يغلبون عليه من مال وديار .

ولقد صدقت النبوة ووقع الوعد ، فسلط الله على بنى إسرائيل من قهرهم أول مرة ... ثم سلط عليهم من شردهم فى الأرض ودمر مملكتهم تدميراً ولا ينص القرآن على جنسية هؤلاء الذين سلطهم على بنى إسرائيل ؛ لأن النص عليها لا يزيد فى العبرة شيئا ، والعبرة هى المطلوبة هنا .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ معجزة الإسراء والعروج من المعجزات التى أيد الله بها نبيه ﷺ وهى من دلائل قدرة الله ، وحبه لنبيه ﷺ .

٢ ـ العبودية لله أرقى درجات القرب من الله تعالى .

٣ ـ النعمة تقتضى شكراً ، فإذ يقص الله علينا ما عاقب به بنى إسرائيل لكفرهم ، فإنه يعرفنا بذلك على سنته فيمن لم يشكر .

وفى ذلك تربية لهذه الأمة التى سيعطيها الله بيت المقدس وما حوله ، والتى أنزل عليها كتابا هاديا ، وأرسل لها رسولا بالآيات ألا تكفر النعمة فتسلب ، وكفرانها بالنعمة إنما هو بكفرها بمحمد ﷺ وكفرها بدينه وعدم التزامها بشريعته .

٤ ـ ضرورة العمل من أجل تحرير المسجد الأقصى وإعادته .

٥ ـ البعد عن الإفساد فى الأرض حتى لا ننال العقاب الإلهى .

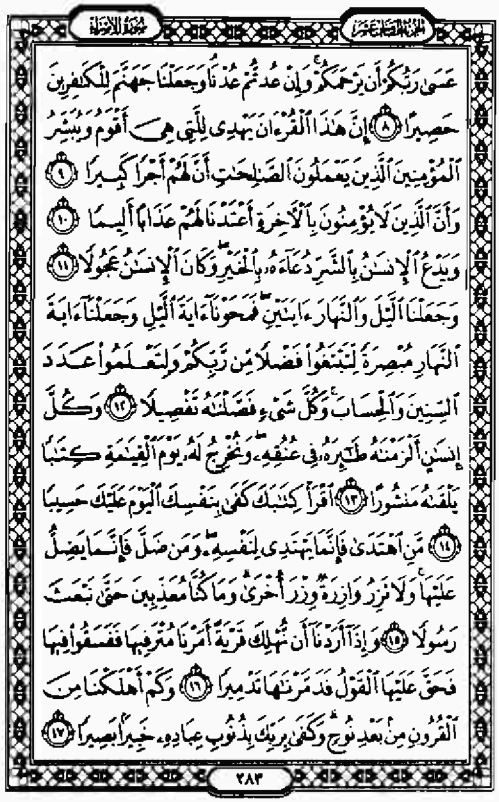
عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ
الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾
٢٨٣

معانى الكلمات :

حصيرا : سجنا .

محونا : طمسنا .

مبصرة : يبصر الإنسان بها .

طائر : عمله .

حسيبا : حاسبا .

وزر : ذنب .

مترفيها : متنعميها .

القرون : الجيل من الناس .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على أن الجزاء ثمرة طبيعية للعمل .

٢ ـ أن نعلم فضل القرآن وأنه هداية للتى هى أقوم .

٣ ـ أن نتعرف على سنة الله فى إهلاك الأمم .

المحتوى التربوى :

يعقب السياق على النبوءة الصادقة والوعد المفعول أن الدمار قد يكون طريقا للرحمة إن أفيد منه عبرة .

فأما إذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها ، ثم عادوا إلى الإفساد فسلط عليهم عباداً آخرين ، ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد فى صورة «إسرائيل» التى أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات ، وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقا لوعد الله القاطع ، وفاقا لسنته التى لا تتخلف ، وإن غداً لناظره قريب .

ويختم السياق الآية بمصير الكافرين فى الآخرة وجعل جهنم تحصرهم فلا يفلت منهم أحد ، وتتسع فلا يند عنها أحد .

وينتقل السياق إلى القرآن ، القرآن الذى يهدى للتى هى أقوم ، وهكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم ، فيشمل الهدى أقواما وأجيالا بلا حدود من زمان أو مكان ، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق ، وكل خير يهتدى إليه البشر فى كل زمان ومكان .

ويهدى للتى هى أقوم فى عالم الضمير والشعور بالعقيدة الواضحة البسيطة التى لا تعقيد فيها ولا غموض ، والتى تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة ، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء .

يهدى للتى هى أقوم فى التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه ، وبين مشاعره وسلوكه ، وبين عقيدته وعمله ، فإذا هى كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التى لا تنفصم ، متطلعة إلى أعلى وهى مستقرة على الأرض ، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله ، ولو كان هذا العمل متاعا واستمتاعا بالحياة .

ويهدى للتى هى أقوم فى عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة ، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء ولا تسهل وتترخص حتى تشيع فى النفس الرخاوة والاستهتار ، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال .

ويهدى للتى هى أقوم فى علاقات الناس بعضهم ببعض : أفراداً وأزواجا ، وحكومات وشعوبا ، ولا تميل مع المودة والشنآن ، ولا تصرفها المصالح والأغراض .

ويهدى للتى هى أقوم فى تبنى الديانات السماوية جميعها والربط بينها كلها ، وتعظيم مقدساتها وصيانة حرماتها ، فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية فى سلام ووئام .

ويبشر القرآن الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم أجراً كبيراً ألا وهو الجنة . كما يخبر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن الله تعالى هيأ لهم عذابا أليما فى جهنم ، وهذه هى قاعدته الأصيلة فى العمل والجزاء، فعلى الإيمان والعمل الصالح يقيم بناءه، فلا إيمان بلا عمل ، ولا عمل بلا إيمان، الأول مبتور لم يبلغ تمامه ، والثانى مقطوع لا ركيزة له ، وبهما معا تسير الحياة على التى هى أقوم .

ويخبر السياق عن الإنسان فى ضعفه وقلة إدراكه لعواقب الأمور من أنه إذا ضجر أو غضب يدعو على نفسه وأهله بالشر غير مفكر فى عاقبة دعائه لو استجاب الله تعالى له ، يدعو بالشر كدعائه بالخير ، ذلك أنه لا يعرف مصائر الأمور وعواقبها ، فأين هذا من هدى القرآن الثابت الهادئ الهادى ؟ ألا إنهما طريقان مختلفان : شتان شتان بين هدى القرآن وهوى الإنسان .

ثم ينتقل السياق إلى آيات الله الكونية فى هذا الوجود ، يربط بها نشاط البشر وأعمالهم ، وجهدهم وجزاءهم ، وكسبهم وحسابهم ، فإذا نواميس العمل والجزاء والكسب والحساب مرتبطة أشد الارتباط بالنواميس الكونية الكبرى ، قائمة على قواعد وسنن لا تتخلف .

فالناموس الكونى الذى يحكم الليل والنهار يرتبط به سعى الناس للكسب وعلم السنين للحساب ، ويرتبط به كسب الإنسان من خير وشر وجزاؤه على الخير والشر ، وترتبط به عواقب

الهدى والضلال ، وفردية التبعة فلا تزرُ وازرة وزر أخرى ، ويرتبط به وعد الله ألا يعذب حتى يبعث رسولا ، وترتبط به مصائر الذين يطلبون العاجلة ، والذين يطلبون الآخرة وعطاء الله لهؤلاء وهؤلاء فى الدنيا والآخرة ، كلها تمضى وفق ناموس ثابت وسنن لا تتبدل ، ونظام لا يتحول فليس شىء وليس أمر فى هذا الوجود متروكا للمصادفة والجزاف ، ودقة الناموس الذى يصرف الليل والنهار ناطقة بدقة التدبير والتفصيل ، وهى عليه شاهد ودليل .

ثم تذكر الآيات أن كل إنسان مسؤول عن عمله الذى سيكون محدداً لمصيره فى الآخرة ، فعمله لا يتخلف عنه وهو لا يملك التملص منه ، فعمله مكشوف لا يملك إخفاءه ، أو تجاهله أو المغالطة فيه ، وبذلك الناموس الكونى الدقيق ترتبط قاعدة العمل والجزاء ، فهى التبعة الفردية التى تربط كل إنسان بنفسه ، إن اهتدى فلها ، وإن ضل فعليها ، وما من نفس تحمل وزر أخرى ، وما من أحد يخفف حمل أحد ، إنها يسأل كل عن عمله ، ويجزى كل بعمله، ولا يسأل حميم حميا .

وقد شاءت رحمة الله ألا يأخذ الإنسان بالآيات الكونية المبثوثة فى صفحات الوجود ، وألا يأخذه بعهد الفطرة الذى أخذه على بنى آدم فى ظهور آبائهم ، إنها يرسل إليهم الرسل منذرين ومذكرين ، وهى منة من الله أن يعذر إلى العباد قبل أن يأخذهم بالعذاب .

كذلك تمضى سنة الله فى إهلاك القرى وأخذ أهلها فى الدنيا ، فإذا قدر الله لقرية أنها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك فكثر فيها المترفون ، فلم تدافعهم ولم تضرب على أيديهم ، سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها فعم فيها الفسق ، فتحللت وترهلت فحقت عليها سنة الله ، وأصابها الدمار والهلاك ، وهى المسؤولة عما يحل بها ؛ لأنها لم تضرب على أيدى المترفين ، ولم تصلح من نظامها الذى يسمح بوجود المترفين .

يقول صاحب الظلال : « وهنا تبرز تبعة الجماعة فى ترك النظم الفاسدة تنشئ آثارها التى لا مفر منها ، وعدم الضرب على أيدى المترفين فيها كى لا يفسقوا فيها فيحق عليها القول فيدمرها تدميرا ، هذه السنة قد مضت فى الأولين من بعد نوح ، قرنا من بعد قرن كلما فشت الذنوب فى أمة انتهت بها إلى ذلك المصير » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ القرآن الكريم يهدى إلى أحسن الطرق وأعدلها .

٢ ـ توجيه النظر إلى الآيات الكونية واستخراج الحكمة من إيجادها .

٣ ـ كل إنسان مسجل عليه عمله ، ومسؤول عنه وحده .

٤ ـ الفسق وعدم الطاعة يؤديان إلى إهلاك الأمم .

٥ ـ للحياة البشرية نواميس لا تتخلف وسنن لا تتبدل، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج .

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ
جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ
ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ
سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ
رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا
﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾
۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا
يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ
أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى
صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۖ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ
فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ
وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ
كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾
٢٨٤

معانى الكلمات :

يصلى : يدخل .

مدحورا : مطروداً .

محظورا : ممنوعا .

مخذولا : غير منصور .

قضى : أمر وألزم .

أف: كلمة تضجر وكراهية وضيق .

تنهر : تزجر .

اخفض : ألن .

للأوابين : للتوابين .

كفورا : شديد الجحود لنعمة الله عليه .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن الحياة للآخرة هى الحياة اللائقة بالإنسان الكريم على الله .

٢ ـ أن نتعرف على أهمية إخلاص العبادة لله وحده والإحسان إلى الوالدين .

٣ ـ أن نتنبه إلى البذل والإنفاق وبخاصة على الأقارب والمساكين وأبناء السبيل .

٤ ـ أن نحذر من التبذير والإسراف .

المحتوى التربوى :

إن من أراد أن يعيش لهذه الدنيا وحدها ، فلا يتطلع إلى أعلى من الأرض التى يعيش فيها ، فإن الله يعجل له حظه فى الدنيا حين يشاء ، ثم تنتظره فى الآخرة جهنم عن استحقاق ، فالذين لا يتطلعون إلى أبعد من هذه الأرض يتلطخون بوحلها ودنسها ورجسها ، ويستمتعون فيها كالأنعام ، ويستسلمون فيها للشهوات والنزغات ، ويرتكبون فى سبيل تحصيل اللذة الأرضية ما يؤدى بهم إلى جهنم .

والذى يريد الآخرة لابد أن يسعى لها سعيها فيؤدى تكاليفها ، وينهض بتبعاتها ، ويقيم سعيه لها على الإيمان وليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، والسعى للآخرة لا يحرم المرء من لذائذ الدنيا الطيبة ، إنما يمد بالبصر إلى آفاق أعلى فلا يكون المتاع فى الأرض هو

الهدف والغاية ، ولا ضير بعد ذلك من المتاع حين يملك الإنسان نفسه ، فلا يكون عبداً لهذا المتاع ، وإذا كان الذى يريد العاجلة ينتهى إلى جهنم مذموما مدحورا ، فالذى يريد الآخرة ويسعى لها سعيها ينتهى إليها مشكورا يتلقى التكريم فى الملأ الأعلى جزاء السعى الكريم لهدف كريم .

يقول صاحب **الظلال** : « إن الحياة للأرض حياة تليق بالديدان والزواحف والحشرات والهوام والوحوش والأنعام ، فأما الحياة للآخرة فهى الحياة اللائقة بالإنسان الكريم على الله ، الذى خلقه فسواه وأودع روحه ذلك السر الذى ينزع به إلى السماء وإن استقرت على الأرض قدماه » .

على أن هؤلاء وهؤلاء إنما ينالون من عطاء الله ، وعطاء الله لا يحظره أحد ولا يمنعه ، والتفاوت فى الأرض ملحوظ بين الناس بحسب وسائلهم وأسبابهم واتجاهاتهم وأعمالهم ، ومجال الأرض ضيق ورقعة الأرض محدودة ، فكيف بهم فى المجال الواسع ، كيف بهم فى الآخرة التى لا تزن فيها الدنيا كلها جناح بعوضة ؟ فمن شاء التفاوت الحق ومن شاء التفاضل الضخم فهو هناك فى الآخرة ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

ثم ينتقل السياق إلى درس تربط فيه قواعد السلوك والآداب والتكاليف الفردية والاجتماعية إلى العقيدة فى وحدة الله ، كما تربط بهذه العروة الوثقى جميع الروابط وتشد إليها كل الوشائج فى الأسرة وفى الجماعة وفى الحياة .

يبدأ الدرس بالنهى عن الشرك والتحذير من عاقبته ، والأمر عام ولكن وجه إلى المفرد ليحس كل أحد أنه أمر خاص به ، صادر إلى شخصه ، فالاعتقاد مسألة شخصية ، مسؤول عنها كل فرد بذاته ، والعاقبة التى تنتظر كل فرد يحيد عن التوحيد أن يقعد مذموما بالفعلة الذميمة التى أقدم عليها مخذولا لا ناصر له ، ومن لا ينصره الله فهو مخذول وإن كثر ناصروه .

ويأتى أمر التوحيد بعد النهى عن الشرك أمرًا فى صورة قضاء،فهو أمر حتمى حتمية القضاء، وإذا وضعت القاعدة ، وأقيم الأساس جاءت التكاليف الفردية والاجتماعية ولها فى النفس ركيزة من العقيدة فى الله الواحد ، توحد البواعث والأهداف من التكاليف والأعمال .

والرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة ، هى رابطة الأسرة ، ومن ثم بربط السياق بر الوالدين بعبادة الله ، قال القاشانى :

« قرن ـ سبحانه وتعالى ـ إحسان الوالدين بالتوحيد وتخصيصه بالعبادة لكونهما مناسبين للحضرة الربوبية ، لتربيتهما إياك عاجزا صغيراً ضعيفا لا قدرة لك ولا حراك بك ، وهما أول مظهر ظهر فيه آثار صفات الله تعالى من الإيجاد والربوبية ، والرحمة والرأفة بالنسبة إليك ، ومع ذلك فإنهما محتاجان إلى قضاء حقوقهما ، والله غنى عن ذلك ، فأهم الواجبات بعد التوحيد إذاً إكرامهما والقيام بحقوقهما ما أمكن » .

ويستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة فى قلوب الأبناء ، ذلك أن الحياة وهى مندفعة فى طريقها بالأحياء، توجه اهتمامهم القوى إلى الأمام إلى الذرية إلى الناشئة الجديدة إلى الجيل

المقبل ، وقلما توجه اهتمامهم إلى الوراء ، إلى الأبوة ، إلى الحياة المولية ، إلى الجيل الذاهب ، ومن ثم تحتاج البنوة إلى استجاشة وجدانها بقوة لتنعطف إلى الخلف ، وتلتفت إلى الآباء والأمهات ، لتتذكر واجب الجيل الذى أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف .

ثم يأخذ السياق فى تظليل الجو كله بأرق الظلال ، وفى استجاشة الوجدان بذكريات الطفولة ومشاعر الحب والعطف والحنان ، ويخص سبحانه حالة الكبر ، والكبر له جلاله ، وضعف الكبر له إيحاؤه ، فإذا كانا كلَّيْن على ولدهما ، ولا كافل لهما غيره فهما عنده فى بيته وكنفه وذلك أشق عليه ، فهو مأمور بأن يستعمل معهما لين الخلق ، حتى لا يقول لهما إذا أضجره شىء منهما أف ، وهى أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب ألا يند من الولد ما يدل على الضجر والضيق وما يشى بالإهانة وسوء الأدب، فمرتبة القول الحسن وما يشى بالإكرام والاحترام أعلى إيجابية .

ويبلغ التعبير أقصاه ويمس شغاف القلب وحنايا الوجدان بأن يجعل الرحمة ترق وتلطف حتى لكأنها الذل الذى لا يرفع عينا ولا يرفض أمراً ، وكأنما للذل جناح يخفضه إيذانا بالسلام والاستسلام .

قال الزمخشرى : « لا تكتف برحمتك عليهما التى لا بقاء لها ، وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية جزاء لرحمتهما عليك فى صغرك وتربيتهما لك » .

فهى الذكرى الحانية ، ذكرى الطفولة الضعيفة يرعاها الوالدان ، وهما اليوم فى مثلها من الضعف والحاجة إلى الرعاية والحنان ، وهو التوجه إلى الله أن يرحمهما فرحمة الله أوسع ، ورعاية الله أشمل .

ولأن الانفعالات والحركات موصولة بالعقيدة فى السياق ، فإنه يعقب على ذلك برجع الأمر كله لله الذى يعلم النوايا ، ويعلم ما وراء الأقوال والأفعال ليفتح باب التوبة والرحمة لمن يخطئ أو يقصر، ثم يرجع فيتوب من الخطأ والتقصير، وما دام القلب صالحًا ، فإن باب المغفرة مفتوح .

ثم يمضى السياق بعد بر الوالدين إلى ذوى القربى أجمعين ، ويصل بهم المساكين وابن السبيل متوسعا فى القربات حتى تشمل الروابط الإنسانية بمعناها الكبير .

وينهى القرآن عن التبذير ، وليس هو الكثرة والقلة فى الإنفاق ، إنما هو موضع الإنفاق ، ومن ثم كان المبذرون إخوان الشياطين لأنهم ينفقون فى الباطل والشر والمعصية فهم رفقاء الشياطين وصحابهم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ التفاضل الحق فى الحرص على الآخرة لا فى متاع الدنيا القليل الهزيل .

٢ ـ وجوب توحيد الله والإحسان إلى الوالدين .

٣ ـ الحث على الإنفاق والتحذير من التبذير .

٤ ـ حق النعمة أن تؤدى فى طاعة الله تعالى .

معانى الكلمات :

ميسورا : سهلا . **محسورا** : منقطعا .

يبسط : يوسع ويكثر . **يقدر** : يضيق .

إملاق : فقر . **خطئا** : إثما . **أشده** : قوته . **القسطاس** : الميزان .

تأويلا : عاقبة .**تقف** : تتبع .

مرحا : فخرا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن التوازن هو قاعدة الإسلام الكبرى .

٢ ـ أن نعرف أن العقيدة لا يمكن أن تعيش فى معزل عن الحياة .

٣ ـ أن نسلم بحرمة العرض والنفس والمال خاصة مال اليتيم .

٤ ـ أن نحرص على أمانة التعامل ونظافة القلب .

٥ ـ أن نعلم أن عقيدة الإسلام عقيدة الوضوح فلا يقوم شىء فيها على الظن .

٦ ـ أن نجتنب ذميم الفعال .

المحتوى التربوى :

إذا لم يجد إنسان ما يؤدى به حق ذوى القربى والمساكين وابن السبيل واستحيا أن يواجههم ، وتوجه إلى الله يرجو أن يرزقه ويرزقهم فليعدهم إلى ميسرة ، وليقل لهم قولا لينا ، فلا يضيق بهم صدره ، ولا يسكت ويدعهم فيحسوا بالضيق فى سكوته ، ففى القول الميسور عوض وأمل وتجمل .

والتوازن هو القاعدة الكبرى فى النهج الإسلامى ، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن ، والتعبير هنا يجرى على طريقة التصوير ، فيرسم البخل يدا مغلولة إلى العنق ، ويرسم الإسراف يداً مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئا ، ويرسم نهاية البخل ونهاية الإسراف قعدة كقعدة الملوم المحسور ، والحسير فى اللغة : الدابة تعجز عن السير فتقف ضعفا وعجزا ، فكذلك البخيل يحسره بخله فيقف ، وكذلك المسرف ينتهى به سرفه إلى وقفة الحسير ملوما فى الحالتين على البخل وعلى السرف، وخير الأمور الوسط.

ثم يعقب على الأمر بالتوسط بأن الرازق هو الله يبسط الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصر ، ويقدر الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصر .

ولما قرر السياق أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، كان من المناسب أن يتبعه بالنهى عن قتل الأولاد خشية الإملاق ، فما دام الرزق بيد الله فلا علاقة إذن بين الفقر وكثرة النسل أو نوع النسل ، إنما الأمر كله لله .

يقول صاحب الظلال : « إن انحراف العقيدة وفسادها ينشئ آثاره فى حياة الجماعة الواقعية ، ولا يقتصر على فساد الاعتقاد والطقوس التعبدية ، وتصحيح العقيدة ينشئ آثاره فى صحة المشاعر وسلامتها ، وفى سلامة الحياة الاجتماعية واستقامتها ، وهذا المثل من وأد البنات مثل بارز على آثار العقيدة فى واقع الجماعة الإنسانية ، وشاهد على أن الحياة لا يمكن إلا أن تتأثر بالعقيدة وأن العقيدة لا يمكن أن تعيش فى معزل عن الحياة » .

وينتقل السياق من النهى عن قتل الأولاد إلى النهى عن الزنا ، وبين قتل الأولاد والزنا صلة ومناسبة ـ وقد توسط النهى عن الزنا بين النهى عن قتل الأولاد والنهى عن قتل النفس لذات الصلة وذات المناسبة ؛ ففى الزنا قتل من نواحى شتى ، إنه قتل ابتداء لأنه إراقة لمادة الحياة فى غير موضعها ، يتبعه غالبا الرغبة فى التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق ، قبل مولده أو بعد مولده ، فإذا ترك الجنين للحياة ترك فى الغالب لحياة شريرة أو حياة مهينة ، فهى حياة مضيعة فى المجتمع على نحو من الأنحاء .

وهو قتل فى صورة أخرى ، قتل للجماعة التى يفشو فيها فتضيع الأنساب وتختلط الدماء ، وتذهب الثقة فى العرض والولد ، وهو قتل للجماعة من جانب آخر ؛ إذ إن سهولة قضاء الشهوة عن طريقه يجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة لها ، ويجعل الأسرة تبعة لا داعى إليها ، والأسرة هى المحضن الصالح للفراخ الناشئة .

يقول صاحب الظلال : « وما من أمة فشت فيها الفاحشة إلا صارت إلى انحلال منذ التاريخ القديم إلى العصر الحديث ، وقد يغر بعضهم أن أوربا وأمريكا تملكان زمام القوة المادية اليوم مع فشو هذه الفاحشة فيهما ، ولكن آثار هذا الانحلال فى الأمم القديمة منها كفرنسا ظاهرة لا شك فيها ، أما فى الأمم الفتية كالولايات المتحدة فإن فعلها لم تظهر بعد آثاره بسبب حداثة هذا الشعب واتساع موارده كالشاب الذى يسرف فى شهواته فلا يظهر أثر الإسراف فى بنيته وهو شاب ، ولكن سرعان ما يتحطم عندما يدلف إلى الكهولة ، فلا يقوى على احتمال آثار السن كما يقوى عليها المعتدلون من أنداده » .

والقرآن يحذر من مجرد مقاربة الزنا وهى مبالغة فى التحرز ؛ لأن الزنا تدفع إليه شهوة عنيفة ، فالتحرز من المقاربة أضمن فعند المقاربة من أسبابه لا يكون هناك ضمان ، ويختم النهى عن قتل الأولاد وعن الزنا بالنهى عن قتل النفس إلا بالحق .

يقول صاحب الظلال : « والإسلام دين الحياة ودين السلام ، فقتل النفس عنده كبيرة تلى الشرك بالله ، فالله واهب الحياة ، وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه وفى الحدود التى يرسمها ، وكل نفس هى حرم لا يمس وحرام إلا بالحق ، وهذا الحق الذى يبيح قتل النفس محدود لا غموض فيه ، وليس متروكا للرأى ولا متأثراً بالهوى ، وقد جاء فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والزانى المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

فأما الأولى : فهى القصاص العادل الذى إن قتل نفسا فقد ضمن الحياة لنفوس .

وأما الثانية : فهى دفع للفساد القاتل فى انتشار الفاحشة .

وأما الثالثة : فهى دفع للفساد الروحى الذى يشيع الفوضى فى الجماعة ، ويهدد أمنها ونظامها الذى اختاره الله لها، ويسلمها إلى الفرقة القاتلة ، والتارك لدينه المفارق للجماعة إنما يقتل لأنه اختار الاسلام لم يجبر عليه ، ودخل فى جسم الجماعة المسلمة ، واطلع على أسرارها ، فخروجه بعد ذلك عليها فيه تهديد لها .

تلك الأسباب الثلاثة المبيحة للقتل ، فمن قتل مظلوما بغير واحد من تلك الأسباب ، فقد جعل الله لوليه ـ وهو أقرب عاصب إليه ـ سلطانا على القاتل ، إن شاء قتله وإن شاء عفا على الدية ، وإن شاء عفا عنه بلا دية ، فهو صاحب الأمر فى التصرف فى القاتل ، لأن دمه له ، وفى مقابل هذا السلطان الكبير ينهاه الإسلام عن الإسراف فى القتل ، فهو منصور بقضاء الله له وتأييد الشرع ونصرة الحاكم فليكن عادلا فى قصاصه ، وكل السلطات تناصره وتأخذ له بحقه .

وبعد أن ينتهى السياق من حرمة العرض والنفس يتحدث عن حرمة مال اليتيم وحرمة العهد ، ويشدد فى مال اليتيم ، ويبرز النهى عن مجرد قربه إلا بالتى هى أحسن ، ذلك أن اليتيم ضعيف عن تدبير ماله ، ضعيف عن الذود عنه ، ومن ثم جاء النهى عن قرب مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن ، فى صيغة الجمع ؛ لتكون الجماعة كلها مسؤولة عن اليتيم وماله ؛ ولأن رعاية مال اليتيم عهد على الجماعة ألحق به الأمر بالوفاء بالعهد إطلاقا ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ يسأل الله جل جلاله عن الوفاء، ويحاسب من ينكث به وينقضه .

وينتقل السياق فى تناسق ملحوظ من الوفاء بالعهد إلى إيفاء الكيل والميزان ، وهذا الإيفاء أمانة فى التعامل ونظافة فى القلب ، يستقيم بهما التعامل فى الجماعة ، وتتوافر بهما الثقة فى النفوس ، وتتم بهما البركة فى الحياة ، وذلك خير فى الدنيا وأحسن مآلا فى الآخرة .

والعقيدة الإسلامية عقيدة الوضوح والاستقامة والنصاعة ، فلا يقوم شىء فيها على الظن أو الوهم أو الشبهة ، فالتثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم ، ويجعل الإنسان مسؤولا عن سمعه وبصره وفؤاده أمام واهب السمع والبصر والفؤاد .

وتختم هذه الأوامر والنواهى المرتبطة بعقيدة التوحيد بالنهى عن الكبر الفارغ والخيلاء الكاذبة ، وهو نهى عن ذميم الأفعال والصفات بإعلان كراهية الله للسيئ منها .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ ينبغى للمؤمن أن يصل رحمه وأن يعطى المحتاجين ، فإن لم يستطع فإنه يردهم بالقول الحسن .

٢ ـ الإسراف والبخل يؤديان إلى الحسرة والملامة .

٣ ـ حرص الإسلام على طهارة المجتمع من القبائح والمنكرات ، وصيانته لحقوق الإنسان .

٤ ـ النهى عن ذميم الفعال والصفات .

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم
بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ ۚ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾
قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾
سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن
لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ
ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا
مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ
وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا
﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ
إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾
وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾
٢٨٦

معانى الكلمات :

مدحورا : مطرودا .

أصفاكم : فضلكم وخصكم .

صرفنا : كررنا .

نفورا : تباعدًا وإعراضا .

ابتغوا : طلبوا .

سبيلا : طريقا .

حجابا : ساترا .

أكنة : أغطية .

وقرا : صمما .

مسحورا : مغلوبا على عقله بالسحر .

رفاتا : أجزاء مفتتة أو ترابا أو غبارا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن التوحيد هو عماد الدين وأساسه .

٢ ـ أن نقف على مواعظ القرآن وأمثاله وقصصه للتذكر والاعتبار .

٣ ـ أن نتيقن أن أصحاب الهوى لا يثبتون أمام الحق .

المحتوى التربوى :

تختم الأوامر والنواهى بربطها بالله وعقيدة التوحيد والتحذير من الشرك وهو ختام يشبه الابتداء، فتجىء محبوكة الطرفين، موصولة بالقاعدة الكبرى التى يقيم عليها الإسلام بناء الحياة، قاعدة توحيد الله وعبادته دون سواه .

وينتقل السياق إلى درس جديد يبدأ وينتهى باستنكار فكرة الولد والشريك ، وبيان ما فيها من اضطراب وتهافت ، وتقرير وحدة الاتجاه الكونى إلى الخالق الواحد ، ووحدة المصير والرجعة إلى الله فى الآخرة ، ووحدة علم الله الشامل بمن فى السموات ومن فى الأرض ، ووحدة التصرف فى شؤون الخلائق بلا معقب ، وإذا كان الله هو واهب البنين والبنات ، فهل أصفاهم بالبنين المفضلين واتخذ لنفسه الإناث المفضولات ؟ ! وهذا ادعاء مستنكر من الأساس ، وقول

عظيم فى شناعته وبشاعته ، وعظيم فى جرأته ووقاحته ، عظيم فى ضخامة الافتراء فيه ، عظيم فى خروجه عن التصور والتصديق .

ويمضى السياق ليقرر أن القرآن قد جاء بالتوحيد ، وسلك إلى تقرير هذه العقيدة وإيضاحها طرقا شتى ، وأساليب متنوعة ، ورسائل متعددة ليذكروا ، فالتوحيد لا يحتاج إلى أكثر من التذكر والرجوع إلى الفطرة ومنطقها ، وإلى الآيات الكونية ودلالتها ، ولكنهم يزيدون نفوراً كلما سمعوا هذا القرآن . نفورا من العقيدة التى جاء بها ، ونفوراً من القرآن ذاته خيفة أن يغلبهم على عقائدهم الباطلة التى يستمسكون بها ، عقائد الشرك والوهم والترهات.

ويقرر السياق أن الآلهة لو وجدت فإنها ستحاول أن تتقرب إلى الله وأن تجد لها وسيلة إليه وسبيلا ، والقضية كلها ممتنعة ، وليس هنالك آلهة مع الله ـ كما يقولون ـ والآلهة التى يدعونها إن هى إلا خلق من خلق الله .

ثم يرسم السياق للكون كله بما فيه ومن فيه مشهداً فريداً تحت عرش الله ، يتوجه كله إلى الله ، يسبح له ويجد الوسيلة إليه ، وهو تعبير تنبض به كل ذرة فى هذا الكون الكبير ، وتنتفض روحا حية تسبح الله ، فإذا الكون كله حركة وحياة ، وإذا الوجود كله تسبيحة واحدة شجية رخية ، ترتفع فى جلال إلى الخالق الواحد الكبير المتعال .

وإنه لمشهد كونى فريد ، حين يتصور القلب ، كل حصاة وكل حجر ، كل حبة وكل ورقة ، كل زهرة وكل ثمرة، كل نبتة وكل شجرة ، كل حشرة وكل زاحفة ، كل حيوان وكل إنسان ، كل دابة على الأرض وكل سابحة فى الماء والهواء ، ومعها سكان السماء ؛ كلها تسبح الله وتتوجه إليه فى علاه ، وإن الوجدان ليرتعش وهو يستشعر الحياة تدب فى كل ما حوله مما يراه ومما لا يراه ، وكلما همت يده أن تلمس شيئا ، وكلما همت رجله أن تطأ شيئا سمعه يسبح لله وينبض بالحياة يقول صاحب **الظلال** : « وحين تشف الروح وتصفو فتتسمع لكل متحرك أو ساكن وهو ينبض بالروح ويتوجه بالتسبيح فإنها تتهيأ للاتصال بالملأ الأعلى ، وتدرك من أسرار هذا الوجود ما لا يدركه الغافلون ، الذين تحول صفاقة الطين بين قلوبهم وبين الحياة الخفية السارية فى ضمير هذا الوجود ، النابضة فى كل متحرك وساكن ، وفى كل شىء فى هذا الوجود » .

وفى ظل هذا الموكب الكونى المسبح يبدو تقصير البشر وهم أولى من كل شىء فى هذا الكون بالتسبيح والتحميد والمعرفة والتوحيد ، ولولا حلم الله وغفرانه لأخذ البشر أخذ عزيز مقتدر .

ويتتابع السياق فيذكر أن القوم كانت تتأثر بالقرآن فطرتهم فيصدونها ، وتجاذبهم إليه قلوبهم فيما نعونها ، فجعل الله بينهم وبين الرسول حجابا خفيا لا يظهر للعيون ولكن تحسه القلوب فإذا هم لا ينتفعون به ، ولا يهتدون بالقرآن الذى يتلوه ، وهكذا كانوا يتناجون بما أصاب قلوبهم من

القرآن ، ثم يتآمرون على عدم الاستماع إليه ، ثم يغلبهم التأثر به فيعودون ، ثم يتناجون من جديد حتى ليتعاهدون على عدم العودة ليحجزوا أنفسهم عن هذا القرآن المؤثر الجذاب الذى يخلب القلوب والألباب ، ذلك أن عقيدة التوحيد التى يدور عليها هذا القرآن كانت تهددهم فى مكانتهم وفى امتيازاتهم وفى كبريائهم فينفرون منها .

ولقد كانت الفطرة تدفعهم إلى التسمع والتأثر ، والكبرياء تدفعهم عن التسليم والإذعان ؛ فيطلقون التهم على الرسول ﷺ يعتذرون بها عن المكابرة والعناد ، فهم يستكثرون فى دخيلتهم أن يكون هذا قول بشر ؛ لأنهم يحسون فيه شيئا غير بشرى ، ويحسون دبيبه الخفى فى مشاعرهم فينسبون قائله إلى السحر يرجعون إليه هذه الغرابة فى قوله ، وهذا التميز فى حديثه ، وهذا التفوق فى نظمه ، ولو أنصفوا لقالوا : إنه من عند الله ، فما يمكن أن يقول هذا إنسان ولا خلق آخر من خلق الله . ولو أنصفوا لقالوا إنك رسول ولست بمسحور ولكنهم ضلوا فلم يهتدوا وحاروا فلم يجدوا طريقا يسلكونه لا إلى الهدى ولا إلى تعليل موقفهم المريب .

وينتقل السياق إلى تكذيب المشركين بالبعث وكفرهم بالآخرة ، فقد كانت قضية البعث مثار جدل طويل بين الرسول ﷺ والمشركين ، واشتمل القرآن الكريم على الكثير من هذا الجدل مع بساطة هذه القضية ووضوحها عند من يتصور طبيعة الحياة والموت ، وطبيعة البعث والحشر ، ولقد عرضها القرآن الكريم فى هذا الضوء مرات ، ولكن القوم لم يكونوا يتصورونها بهذا الوضوح وبتلك البساطة ، فكان يصعب عليهم تصور البعث بعد البلى والفناء المسلط على الأجسام .

ذلك أنهم لم يكونوا يتدبرون أنهم لم يكونوا أحياء أصلا ثم كانوا ، وأن النشأة الآخرة ليست أعسر من النشأة الأولى ، وأنه لا شىء أمام القدرة الإلهية أعسر من شىء وأداة الخلق واحدة فى كل شىء كن فيكون ، فيستوى إذن أن يكون الشىء سهلا ، وأن يكون صعبا فى نظر الناس ، متى توجهت الإرادة الإلهية إليه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ استنكار فكرة الولد والشريك مع الله ، فالله هو الواحد الأحد .

٢ ـ الكون كله يسبح لله وعلى الإنسان أن ينسجم مع الكون .

٣ ـ لا يتأثر بالقرآن وما فيه من مواعظ وأحكام إلا من هداه الله وشرح صدره للإيمان .

٤ ـ قضية البعث بسيطة عند من يتصور طبيعة الحياة والموت وطبيعة البعث والحشر .

٢٤٢ ـــ
معاني الكلمات :

يكبر : يعظم .

فطر : خلق وأبدع .

ينغضون : يحركون استهزاء .

ينزغ : يفسد ويهيج .

تحويلا : نقله إلى غيركم ممن لم يعبدهم .

الوسيلة : القربة بالطاعة والعبادة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم حتمية البعث والجزاء .

٢ ـ أن نتعرف على الأسلوب الهادئ الخالي من الغلظة والشدة .

٣ ـ أن نتعلم أن العبادة لا تتم إلا بالخوف والرجاء ، فبالخوف يبتعد الإنسان عما نهى الله عنه ، وبالرجاء يكثر من الطاعات .

٤ ـ أن نعلم أن ما يقع للناس من إهلاك أو تعذيب أو قتل أو مجاعات أو غيرها ، فإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم.

المحتوى التربوي :

ينتقل السياق إلى الرد على ذلك التعجب من استبعاد وقوع المعاد فيأمر الله جل جلاله نبيه ﷺ أن يجيبهم بأن العظام والرفات فيها الرائحة البشرية وفيها ذكرى الحياة ، والحديد والحجارة أبعد عن الحياة فكونوا حجارة أو حديداً أو خلقا آخر أوغل فى البعد عن الحياة من الحجارة والحديد مما يكبر فى صدوركم أن تتصوروه وقد نفخت فيه الحياة ، فسيبعثكم الله .

وهم لا يملكون أن يكونوا حجارة أو حديداً أو خلقا آخر ولكنه قول للتحدى ، وفيه كذلك ظل التوبيخ والتقريع فالحجارة والحديد جماد لا يحس ولا يتأثر ، وفى هذا إيماء من بعيد إلى ما فى تصورهم من جمود وتحجر .

ويمضى السياق فيذكر سؤال المستنكرين للبعث من يردنا إلى الحياة إن كنا رفاتا وعظاما ، أو خلقا آخر أشد إيغالا فى الموت والخمود ؟

ويأتى الرد فيرجع المشكلة إلى تصور بسيط واضح مريح ، فالذى أنشأهم إنشاء قادر على أن يردهم أحياء ، ولكنهم لا ينتفعون به ولا يقتنعون ويحركون رؤوسهم علوا أو سفلا ، استنكارا واستهزاء ، ويتساءلون عن موعده متى هو ؟ استبعادا لهذا الحادث واستنكارا ، وما كان لهم أن يسألوا سؤالهم فهو غيب والغيب لا يعلمه إلا الله وحده ، وما كان للرسول أن يعلم موعده تحديداً ، ولكن لعله أقرب مما يظنون ، وما أجدرهم أن يخشوا وقوعه وهم فى غفلتهم يكذبون ويستهزئون .

ثم يرسم السياق مشهداً سريعا لذلك اليوم ، وهو مشهد يصور أولئك المكذبين بالبعث المنكرين له ، وقد قاموا يلبون دعوة الداعى ، وألسنتهم تلهج بحمد الله ليس لهم سوى هذه الكلمة من قول ولا جواب!

وهو جواب عجيب ممن كانوا ينكرون اليوم كله وينكرون الله ، فلا يكون لهم جواب إلا أن يقولوا : الحمد لله الحمد لله ! ويومئذ تنطوى الحياة الدنيا كما ينطوى الظل ، وتظنون إن لبثتم فى الدنيا إلا قليلا ، وتصوير الشعور بالدنيا على هذا النحو يصغر من قيمتها فى نفوس المخاطبين ، فإذا هى قصيرة قصيرة ، لا يبقى من ظلالها فى النفس وصورها فى الحس ، إلا أنها لمحة مرت وعهد زال وظل تحول ، ومتاع قليل .

ثم يلتفت السياق عن هؤلاء المكذبين بالبعث والنشور ، المستهزئين بوعد الله وقول الرسول ، المنغضين رؤوسهم المتهكمين المتهجمين ، يلتفت عنهم إلى عباد الله المؤمنين ليوجههم الرسول ﷺ أن يقولوا الكلمة الطيبة وينطقوا دائما بالحسنى ، فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه . بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة .

يقول صاحب الظلال : « الشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت ، وبالرد السيئ يتلوها فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء ، والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب ، تندى جفافها ، وتجمعها على الود الكريم ، فالشيطان يتلمس سقطات فمه

وعثرات لسانه فيغرى بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه ، والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات ، وتقطع عليه الطريق ، وتحفظ حرم الأخوة آمنا من نزغاته ونفثاته » .

وبعد هذه اللفتة يعود السياق إلى مصائر القوم يوم يدعوهم فيستجيبون بحمده ، فإذا المصير كله بيد الله وحده إن شاء رحم وإن شاء عذب ، وهم متروكون لقضاء الله ، وما الرسول عليهم بوكيل إن هو إلا رسول،والعلم المطلق لله وهو يرتب على كامل علمه بالناس رحمتهم أوعذابهم .

وبهذا العلم المطلق بحقائق الخلائق فضل الله بعض النبيين على بعض ، وهو تفضيل يعلم الله أسبابه ، ويذكر السياق نموذجًا من عطاء الله لأحد أنبيائه وهو من مظاهر التفضيل فقد آتى داود زبورا ، والكتب أبقى من الخوارق المادية التي يراها بعض الناس فى ظرف معين من الزمان .

وينتهى الدرس بتحدى الذين يزعمون الشركاء ، أن يدعوا الآلهة المدعاة إلى كشف الضر عنهم لو شاء الله أن يعذبهم ، أو تحويل العذاب إلى سواهم ، ويقرر لهم أن من يدعونهم آلهة من الملائكة أو الجن أو الإنس إن هم إلا خلق من خلق الله ، يحاولون أن يجدوا طريقهم إلى الله ويتسابقون إلى رضاه ، ويخافون عذابه الذى يحذره من يعلم حقيقته ويخشاه ؛ فما أجدركم أن تتوجهوا إلى الله كما يتوجه إليه من تدعونهم آلهة من دونه وهم عباد لله ، يبتغون رضاه .

وهكذا يبدأ الدرس ويختم ببيان تهافت عقائد الشرك فى كل صورها ، وتفرد الله سبحانه بالألوهية والعبادة والاتجاه .

ويستطرد السياق إلى بيان المصير النهائى للبشر جميعا ـ كما قدره الله فى علمه وقضائه ـ وهو انتهاء القرى جميعها إلى الموت والهلاك قبل يوم القيامة ، أو وقوع العذاب ببعضها إن ارتكبت ما يستحق العذاب ، فلا يبقى حى إلا ويلاقى نهايته على أى الوجهين : الهلاك حتف أنفه أو الهلاك بالعذاب ، فما من قرية إلا وسيهلكها الله ؛ بأن يبيد أهلها جميعا أو يعذبهم عذابا شديدا إما بقتل أو ابتلاء بما شاء ، وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم وعدم استجابتهم لنبيهم ﷺ .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ الله قادر على إعادتنا كما خلقنا أول مرة .

٢ ـ اختيار أحسن ما يقال ، فالكلمة الطيبة تحفظ حرم الأخوة آمنا .

٣ ـ على قدر الخوف والرجاء تكون العبادة لله .

٤ ـ ما ينزل بالناس من العذاب بسبب ظلمهم لأنفسهم .

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾
٢٨٨

معانى الكلمات :

مبصرة : آية بينة واضحة .

أحاط : علمًا وقدرة فيهم فى قبضة الله .

الشجرة الملعونة : شجرة الزقوم .

لأحتنكن : لأستولين أو لأستأصلن .

استفزز : استعجل واستخفَّ وأزعج .

أجلب عليهم : صح عليهم وسقهم .

بخيلك ورجلك : بكل راكب وماشٍ فى معاصى الله.

يزجى : يجرى ويسير ويسوق برفق .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن نزول العذاب نتيجة الجحود والنكران .

٢ ـ أن نطلع على الحرب الدائرة علينا من قبل إبليس وأتباعه .

٣ ـ أن نعلم أنه لا سلطان للشيطان على القلب الموصول بالله .

٤ ـ فى لحظات الكرب والشدة ينسى كل سند ومجير إلا الله وحده .

المحتوى التربوى :

قد كانت الخوارق تصاحب الرسالات لتصديق الرسل ، وتخويف الناس من عاقبة التكذيب وهى الهلاك بالعذاب ، ولكن لم يؤمن بهذه الخوارق إلا المستعدة قلوبهم للإيمان ، أما الجاحدون فقد كذبوا بها فى زمانهم .

يقول صاحب الأساس : « إن سنة الله فى الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب إليها ، ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال ، وذكر من تلك الآيات التى اقترحها الأولون ، ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا : ناقة صالح لأن آثار هلاك ثمود معروفة معلومة ، وقد ذكر ابن كثير أن

الكوفة قد رجفت على عهد ابن مسعود ﷺ فقال : يا أيها الناس ، إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه . وهكذا روى أن المدينة زلزلت على عهد عمر بن الخطاب ﷺ مرات فقال عمر: أحدثتم والله لئن عادت لأفعلن ولأفعلن » .

ومن هنا جاءت الرسالة الأخيرة غير مصحوبة بهذه الخوارق ، فمعجزة الإسراء هي القرآن ، وهو كتاب يرسم منهجا كاملا للحياة ، ويخاطب الفكر والقلب ، ويلبي الفطرة القويمة ، ويبقى مفتوحا للأجيال المتتابعة تقرؤه وتؤمن به إلى يوم القيامة ، أما الخارقة المادية فهى تخاطب جيلا واحداً من الناس ، وتقتصر على من يشاهدها من هذا الجيل .

وهذه التجارب البشرية التى ضرب السياق المثل لها بثمود ، اقتضت أن تجيء الرسالة الأخيرة غير مصحوبة بالخوارق ؛ لأنها رسالة الأجيال المقبلة جميعها لا رسالة جيل واحد يراها ، ولأنها رسالة الرشد البشرى تخاطب مدارك الإنسان جيلا بعد جيل ، وتحترم إدراكه الذى تتميز به بشريته ، والذى من أجله كرمه الله على كثير من خلقه .

أما الخوارق التى وقعت للرسول ﷺ وأولها خارقة الإسراء والمعراج ، فلم تتخذ معجزة مصدقة للرسالة ، إنما جعلت فتنة للناس وابتلاء ، فلقد ارتد بعض من كان آمن بالرسول ﷺ بعد حادثة الإسراء ، كما ثبت بعضهم وازداد يقينا ، ومن ثم كانت الرؤيا التى أراها الله لعبده فتنة للناس وابتلاء لإيمانهم .

أما إحاطة الله بالناس فقد كانت وعداً من الله لرسوله بالنصر ، وعصمة له من أن تمتد أيديهم إليه ، ولقد أخبرهم بوعد الله له وبما أطلعه الله عليه فى رؤياه الكاشفة الصادقة ، ومنه شجرة الزقوم التى يخوف الله بها المكذبين .

وفى ظل الرؤيا التى رآها الرسول ﷺ واطلع فيها على ما اطلع من عوالم ، والشجرة الملعونة التى يطعم منها أتباع الشياطين ، يجيء مشهد إبليس الملعون ، يهدد ويتوعد بإغواء الضالين ، ثم يكشف السياق عن الأسباب الأصيلة لضلال الضالين ، فيعرض هذا المشهد هنا ؛ ليحذر الناس وهم يطلعون على أسباب الغواية ، ويرون إبليس عدوهم وعدو أبيهم يتهددهم بها عن إصرار سابق قديم ، فحسد إبليس لآدم يجعله يذكر الطين ويغفل نفخة الله فى هذا الطين .

ويعرض إبليس بضعف هذا المخلوق واستعداده للغواية ، فيقول فى تبجح : أترى هذا المخلوق الذى جعلته أكرم منى عندك ؟ لئن تأخرت إلى يوم القيامة فلأستولين عليهم وأحتويهم وأملك زمامهم وأجعلهم فى قبضة يدى أصرف أمرهم .

وتشاء إرادة الله أن يطلق لرسول الشر والغواية الزمام ، يحاول محاولته مع بنى الإنسان ، ويمضى السياق فيجسم وسائل الغواية والإحاطة ، والاستيلاء على القلوب والمشاعر والعقول ، فهى المعركة الصاخبة تستخدم فيها الأصوات والخيل والرجل على طريق المعارك والمبارزات

يرسل فيها الصوت فيزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة ، أو يستدرجهم للفخ المنصوب والمكيدة المدبرة ، فإذا استدرجوا إلى العراء أخذتهم الخيل وأحاطت بهم الرجال .

ويتابع السياق رسم صورة المعركة القائمة ، فيصور شركة تقوم بين إبليس وأتباعه تشمل الأموال والأولاد وهما قوام الحياة ، وإبليس مأذون فى أن يستخدم وسائله كلها ، ومنها الوعود المغرية الخادعة؛ كالوعد بالإفلات من العقوبة والقصاص، والوعد بالغنى من الأسباب الحرام، والوعد بالغلبة والفوز بالوسائل القذرة والأساليب الخسيسة ، ولعل أشد الوعود إغراء الوعد بالعفو والمغفرة بعد الذنب والخطيئة ، وهى الثغرة التى يدخل منها الشيطان على كثير من القلوب التى يعز عليه غزوها من ناحية المجاهرة بالمعصية والمكابرة ، فيزين لها الخطيئة وهو يلوح بها بسعة الرحمة الإلهية وشمول العفو والمغفرة .

ويجنب السياق أقواما ـ هم عباد الله أحداث هذه المعركة الصاخبة لأنهم مذودون بحصانة تمنعهم سطوة إبليس .

يقول صاحب الظلال : « فمتى اتصل القلب بالله واتجه إليه بالعبادة ، متى ارتبط بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، متى أيقظ فى روحه النفخة العلوية فأشرقت وأنارت ، فلا سلطان ـ حينئذ ـ للشيطان على ذلك القلب الموصول بالله ، وهذه الروح المشرقة بنور الإيمان ، والله يعصم وينصر ويبطل كيد الشيطان » .

ثم ينتقل فيعرض مشهد الفلك فى البحر نموذجا للخطاب للحظات الشدة والحرج ؛ لأن الشعور بيد الله فى الخضم أقوى وأشد حساسية ، ونقطة من الخشب أو المعدن تائهة فى الخضم ، تتقاذفها الأمواج والتيارات والناس متشبون بهذه النقطة على كف الرحمن .

إنه مشهد يحس به من كابده ، ويحس بالقلوب الخائفة الواجفة المتعلقة بكل هزة وكل رجفة فى الفلك ـ صغيرا كان أو كبيراً ـ حتى عابرات المحيط الجبارة التى تبدو فى بعض اللحظات كالريشة فى مهب الرياح على ثبج الموج الجبار ، ويشعر الناس أن يد الله تزجى لهم الفلك فى البحر وتدفعه ليبتغوا من فضله ، فالرحمة هى أظهر ما تستشعره القلوب فى هذا الأوان .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ من رحمة الله ـ تعالى ـ بعباده أنه يخوفهم ببعض آياته ومظاهر نقمه ليرجعوا إليه تائبين .

٢ ـ الحسد من الأسباب الأصيلة لضلال الضالين ، فمن أراد الهداية عليه أن يبتعد عنه .

٣ ـ الحذر من الشيطان وإغوائه .

٤ ـ لا سلطان للشيطان على القلب الموصول بالله .

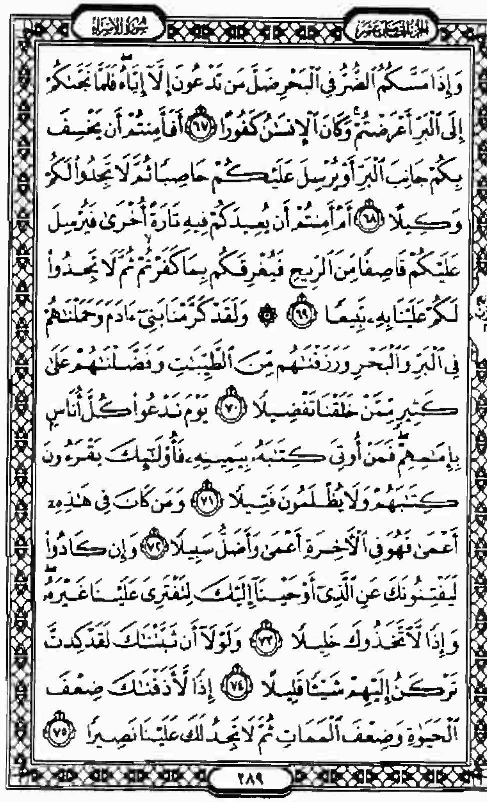

الجزء الخامس عشر — سورة الإسراء

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ
إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ
بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟
لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ
فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ
بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ
كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ
أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ
وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ
تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ
ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

٢٨٩

معانى الكلمات :

يخسف بكم : يغيب بكم تحت التراب .

حاصبا : ريحا شديدة ترمى بالحصباء .

قاصفا : عاصفا شديداً مهلكا .

تبيعا : نصيراً .

فتيلا : قدر الخيط المستطيل فى شق نواة البلح .

ليفتنونك : ليصرفونك .

تفترى : تختلق .

تركن : تميل .

ضعف الحياة : عذابا مضاعفا فى الحياة الدنيا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن من الغفلة أن يعرض البشر عن الله وهم فى قبضته فى كل لحظة وفى كل بقعة .

٢ ـ أن نقف على تكريم الله لبنى آدم .

٣ ـ أن نعرف أن الإنسان يتحمل تبعة اتجاهه وعمله ، ومن العدل أن يلقى ثمرة عمله فى دار الحساب .

المحتوى التربوى :

ينتقل السياق من الإزجاء الرخى للاضطراب العتى ، حين ينسى الركب فى الفلك المتناوح بين الأمواج كل قوة وكل سند وكل مجير إلا الله ، فيتجهون إليه وحده فى لحظة الخطر لا يدعون أحداً سواه ، ولكن الإنسان هو الإنسان، فما إن تنجلى الغمرة وتمس قدماه ثبات الأرض من تحته حتى ينسى لحظة الشدة فينسى الله ، وتتقاذفه الأهواء وتجرفه الشهوات ، وتغطى على فطرته التى جلاها الخطر إلا من اتصل قلبه بالله فأشرق واستنار .

وهنا يستجيش السياق وجدان المخاطبين بتصوير الخطر الذى تركوه فى البحر وهو يلاحقهم فى البر ، أو وهم يعودون إليه فى البحر ليشعروا أن الأمن والقرار لا يكونان إلا فى جوار الله

وحماه ، لا فى البحر ولا فى البر ؛ لا فى الموجة الرخية والريح المواتية ولا فى الملجأ الحصين والمنزل المريح .

ويقرر السياق أن البشر فى قبضة الله فى كل لحظة وفى كل بقعة ، إنهم فى قبضته فى البر كما هم فى قبضته فى البحر ، فكيف يأمنون ؟ كيف يأمنون أن يخسف بهم جانب البر بزلزال أو بركان ، أو بغيرهما من الأسباب المسخرة لقدرة الله ؟ أو يرسل عليهم عاصفة بركانية تقذفهم بالحمم والماء والطين والأحجار فتهلكهم دون أن يجدوا لهم من دون الله وكيلا يحميهم ويدفع عنهم ؟

أم كيف يأمنون أن يردهم الله إلى البحر فيرسل عليهم ريحا قاصفة، تقصف الصوارى وتحطم السفين ، فيغرقهم بسبب كفرهم وإعراضهم فلا يجدون من يطالب بعدهم بتبعة إغراقهم ؟ ألا إنها الغفلة أن يعرض الناس عن ربهم ويكفروا ، ثم يأمنوا أخذه وكيده وهم يتوجهون إليه وحده فى الشدة ثم ينسونه بعد النجاة ، كأنها آخر شدة يمكن أن يأخذهم بها الله .

ويعلن السياق تكريم الله لبنى آدم ، هذا المخلوق البشرى على كثير من خلقه ، كرمه بخلقته على تلك الهيئة ، بهذه الفطرة التى تجمع بين الطين والنفخة ، فتجمع بين الأرض والسماء فى ذلك الكيان ، وكرمه بالاستعدادات التى أودعها فطرته ، والتى استأهل بها الخلافة فى الأرض يغير فيها ويبدل ، وينتج فيها وينشئ ، ويركب فيها ويحلل، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة .

وكرّمه بتسخير القوى الكونية له فى الأرض وإمداده بعون القوى الكونية فى الكواكب والأفلاك ؛ وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذى استقبله به الوجود ، وبذلك الموكب الذى تسجد فيه الملائكة ويعلن فيه الخالق ـ جل شأنه ـ تكريم هذا الإنسان ، وكرَّمه بإعلان هذا التكريم كله فى كتابه المنزل من الملأ الأعلى الباقى فى الأرض ـ القرآن .

ويتابع السياق حديثه عن هذا التكريم بأن تم حملهم فى البر والبحر بتسخير النواميس وجعلها موافقة لطبيعة الحياة الإنسانية وما ركب فيها من استعدادات ، ولو لم تكن هذه النواميس موافقة للطبيعة البشرية لما قامت الحياة الإنسانية ، وهى ضعيفة ضئيلة بالقياس إلى العوامل الطبيعية فى البر والبحر ، ولكن الإنسان مزود بالقدرة على الحياة فيها ومزود كذلك بالاستعدادات التى تمكن من استخدامها ، وكله من فضل الله .

والإنسان ينسى ما رزقه الله من الطيبات بطول الألفة ، فلا يذكر الكثير من هذه الطيبات التى رزقها إلا حين يحرمها ، فعندئذٍ يعرف قيمة ما يستمتع به ، ولكن سرعان ما يعود فينسى ، هذه الشمس ، هذا الهواء ، هذا الماء ، هذه الصحة ، هذه القدرة على الحركة ، هذه الحواس ، هذا العقل ، هذه المطاعم والمشارب والمشاهد ، هذا الكون الطويل العريض الذى استخلف فيه ، وفيه من الطيبات ما لا يحصيه .

هذا الإنسان فضله الله بهذا الاستخلاف فى ملك الأرض الطويل العريض ، وبما ركب فى فطرتهم من استعدادات تجعل المخلوق الإنسانى فذاً بين الخلائق فى ملك الله ، ومن التكريم أن

يكون الإنسان قيماً على نفسه ، محتملا تبعة اتجاهه وعمله ، فهذه هى الصفة الأولى التى بها كان الإنسان إنسانا ، حرية الاتجاه وفردية التبعة ، وبهذا استخلف فى دار العمل ، فمن العدل أن يلقى جزاء اتجاهه وثمرة عمله فى دار الحساب .

ويصور السياق مشهد الخلائق محشورة، وكل جماعة تنادى بعنوانها باسم المنهج الذى اتبعته ، أو الرسول الذى اقتدت به ، أو الإمام الذى ائتمت به فى الحياة الدنيا ؛ تنادى ليسلم لها كتاب عملها وجزائها فى الدار الآخرة ، فمن أوتى كتابه بيمينه فهو فرح بكتابه يقرؤه ويتملاه ، ويوفى أجره لا ينقص منه شيئا ، ولو قدر الخيط الذى يتوسط النواة.

ومن عمى فى الدنيا عن دلائل الهدى فهو فى الآخرة أعمى عن طريق الخير ، وأشد ضلالا ، وجزاؤه معروف ، ولكن السياق يرسمه فى المشهد المزدحم الهائل ، أعمى ضالا يتخبط ، لا يجد من يهديه ولا ما يهتدى به ، ويدعه كذلك لا يقرر فى شأنه أمرا ؛ لأن مشهد العمى والضلال فى ذلك الموقف العصيب هو وحده جزاء مرهوب ، يؤثر فى القلوب .

وينتقل السياق فيعدد محاولات المشركين مع الرسول ﷺ وأدها محاولة فتنته عما أوحى الله إليه ليفترى عليه غيره ، وهو الصادق الأمين .

لقد حاولوا هذه المحاولة فى صور شتى .. منها مساومتهم له أن يعبدوا إلهه فى مقابل أن يترك التنديد بآلهتهم وما كان عليه آباؤهم ، ومنها مساومة بعضهم له أن يجعل أرضهم حراما كالبيت العتيق الذى حرمه الله ، ومنها طلب بعض الكبراء أن يجعل لهم مجلسا غير مجلس الفقراء .

والسياق يشير إلى هذه المحاولات ولا يفصلها ؛ ليذكر فضل الله على الرسول فى تثبيته على الحق ، وعصمته من الفتنة ، ولو تخلى عنه تثبيت الله وعصمته لركن إليهم فاتخذوه خليلا ، وللقى عاقبة الركون إلى فتنة المشركين ، وهى مضاعفة العذاب فى الحياة والممات دون أن يجد له نصيرا منهم يعصمه من الله .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ الأمن والقرار لا يكونان إلا فى جوار الله وحماه لا فى البر ولا فى البحر .

٢ ـ الإنسان ضعيف بالقياس إلى العوامل الطبيعية ، ولكنه مذود بالقدرة على الحياة فيها واستخدامها .

٣ ـ من العدل أن يلقى الإنسان جزاء اتجاهه وثمرة عمله .

٤ ـ الله ـ تعالى ـ تكفل بنصرة نبيه ﷺ وإظهار دينه على من عاداه وخالفه فى مشارق الأرض ومغاربها .

وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾
٢٩٠

معانى الكلمات :

يستفزونك : يستخفونك ويزعجونك .

تحويلا : تبديلا وتغييراً .

دلوك الشمس : بعد أو عند زوالها عن كبد السماء .

غسق : ظلمة أو شدة الظلمة .

نافلة : فريضة زائدة .

سلطانا : قهراً وعزاً .

زهق : بطل .

نأى بجانبه : لوى جانبه تكبراً وعنادا .

شاكلته : طريقته .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعرف أن الاتصال بالله هو السلاح الذى يعصم من الفتن ويكفل النصر والسلطان .

٢ ـ أن نعلم أن القرآن شفاء ورحمة لمن يؤمنون به ، وعذاب ونقمة على من يكذبون به .

٣ ـ أن نقف على صفة الإنسان فى حالتى الرحمة والعذاب .

٤ ـ أن نعلم أن علم الإنسان ضئيل .

المحتوى التربوى :

هذا الدرس الأخير فى سورة الإسراء يقوم على المحور الرئيسى للسورة ، شخص الرسول ﷺ وموقف القوم منه، والقرآن الذى جاء به وخصائص هذا القرآن .

وقد بدأ بالإشارة إلى محاولات المشركين مع الرسول ليفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه ، وما هموا به من إخراجه من مكة وعصمة الله له من فتنتهم ومن استفزازهم؛لما سبق فى علمه ـ تعالى ـ من إمهالهم وعدم أخذهم بعذاب الإبادة كالأمم قبلهم ، ولو أخرجوا الرسول لحاق بهم الهلاك وفقاً لسنة الله التى لا تتبدل مع الذين يخرجون رسلهم من الأقوام .

هذه المحاولات التى عصم الله منها رسوله ، هى محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات ـ دائما ، محاولة إغرائهم لينحرفوا ـ ولو قليلا ـ عن استقامة الدعوة وصلابتها ، ويرضوا بالحلول الوسط التى يغرونهم بها فى مقابل مغانم كثيرة .

يقول صاحب الظلال : « والمسألة مسألة إيمان بالدعوة كلها ، فالذى ينزل عن جزء منها مهما صغر ، والذى يسكت عن طرف منها مهما ضؤل لا يمكن أن يكون مؤمنا بدعوته حق الإيمان ، فكل جانب من جوانب الدعوة فى نظر المؤمن هو حق كالآخر ، وليس فيها فاضل ومفضول ، وليس فيها ضرورى ونافلة ، وليس فيها ما يمكن الاستغناء عنه ، وهى كل متكامل يفقد خصائصه كلها حين يفقد أحد أجزائه ،كالمركب يفقد خواصه كلها إذا فقد أحد عناصره .

وأصحاب السلطان يستدرجون أصحاب الدعوات فإذا سلَّموا فى الجزء فقدوا هيبتهم وحصانتهم ، وعرف المتسلطون أن استمرار المساومة وارتفاع السعر ينتهيان إلى تسليم الصفقة كلها،والتسليم فى جانب ـ ولو ضئيل ـ من جوانب الدعوة لكسب أصحاب السلطان إلى صفها ـ هو هزيمة روحية بالاعتماد على أصحاب السلطان فى نصرة الدعوة ، والله وحده هو الذى يعتمد عليه المؤمنون بدعوتهم ، ومتى دبت الهزيمة فى أعماق السريرة فلن تنقلب الهزيمة نصرا » .

لذلك امتن الله على رسوله ﷺ أن ثبته على ما أوحى الله ، وعصمه من فتنة المشركين له ، ووقاه الركون إليهم ـ ولو قليلا ـ ورحمه من عاقبة هذا الركون ، وعندما عجز المشركون عن استدراج الرسول ﷺ إلى هذه الفتنة حاولوا استفزازه من الأرض ولكن الله أوحى إليه أن يخرج هو مهاجرًا ، ولو أخرجوا الرسول ﷺ عنوة وقسراً لحل بهم الهلاك فهذه سنة الله النافذة ، ولقد جعل الله هذه سنة جارية لا تتحول أمام اعتبار فردى ، وإنما هى سنن مطردة ، ومضت سنة الله فى طريقها لا تتحول .

بعد ذلك يوجه الله رسوله ﷺ إلى الاتصال به ، واستمداد العون منه والمضى فى طريقه بأن يقيم الصلاة ما بين ميل الشمس للغروب وإقبال الليل وظلامه ، ويقرأ قرآن الفجر ، ولهذين الأوانين خاصيتهما ، ولهما وقعهما العميق فى النفس ، فإن مقدم الليل وزحف الظلام كمطلع النور وانكشاف الظلمة كلاهما يخشع فيه القلب ، وكلاهما مجال للتأمل والتفكر فى نواميس الكون التى لا تفتر لحظة ولا تختل مرة ، وللقرآن ـ كما للصلاة ـ إيقاعه فى الحس فى مطلع الفجر ونداوته ، ونسماته الرخية ، وهدوئه السارب ، وتفتحه بالنور ، ونبضه بالحركة ، وتنفسه بالحياة .

يقول صاحب الظلال : « هذا هو الطريق المؤدى إلى المقام المحمود ، وإذا كان الرسول ﷺ يؤمر بالصلاة والتهجد والقرآن ليبعثه ربه المقام المحمود المأذون له به ، وهو المصطفى المختار ، فما أحوج الآخرين إلى هذه الوسائل لينالوا المقام المأذون لهم به فى درجاتهم ، فهذا هو الطريق ، وهذا هو زاد الطريق .

وصاحب الدعوة لا يمكن أن يستمد السلطان إلا من الله ، ولا يمكن أن يُهاب إلا بسلطان الله لا يمكن أن يستظل بحاكم أو ذى جاه فينصره ويمنعه ما لم يكن اتجاهه قبل ذلك إلى الله ، والدعوة قد تغزوا قلوب ذوى السلطان والجاه فيصبحون لها جندا وخدما فيفلحون ، ولكنها هى لا تفلح إن كانت من جند السلطان وخدمه ، فهى من أمر الله ، وهى أعلى من ذوى السلطان والجاه ، وبهذا السلطان المستمد من الله ، أعلن مجيء الحق بقوته وصدقه وثباته ، وزهوق الباطل واندحاره وجلائه ، فمن طبيعة الصدق أن يحيا ويثبت ، ومن طبيعة الباطل أن يتوارى ويزهق وإن بدا للنظرة الأولى أن للباطل صولة ودولة ؛ لأنه لا يحمل عناصر البقاء فى ذاته ، إنما يستمد حياته الموقوتة من عوامل خارجية وأسناد غير طبيعية ، فإذا تخلخلت تلك العوامل ووهت هذه

الأسناد تهاوى وانهار ، فأما الحق فمن ذاته يستمد عناصر وجوده ، وثباته واطمئنانه يجعل له العقبى ويكفل له البقاء ؛ لأنه من عند الله الذى جعل الحق من أسمائه وهو الحى الباقى الذى لا يزول » .

ويمضى السياق فيذكر أن فى القرآن شفاء ، وفى القرآن رحمة لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان ، فأشرقت وتفتحت لتلقى ما فى القرآن من روح ، وطمأنينة واطمئنان ؛ وفى القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة فهو يصل القلب بالله ، فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن ، وفى القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزغات الشيطان ، وفى القرآن شفاء من الاتجاهات المختلة فى الشعور والتفكير ، فهو يعصم العقل من الشطط ، ويطلق له الحرية فى مجالاته المثمرة ، ويكفه عن إنفاق طاقته فيما لا يجدى ، وفى القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التى تخلخل بناء الجماعات ، وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها ، فتعيش الجماعة فى ظل نظامه الاجتماعى وعدالته الشاملة فى سلامة وأمن وطمأنينة .

أما الظالمون فهم لا ينتفعون بما فيه من شفاء ورحمة ، وهم فى غيظ وقهر من استعلاء المؤمنين به ، وهم فى الدنيا مغلوبون من أهل القرآن فهم خاسرون ، وفى الآخرة معذبون بكفرهم به فهم خاسرون ، وحين يترك الإنسان لنزعاته واندفاعاته فهو فى حال النعمة متبطر معرض لا يشكر ، وهو فى حال الشدة يائس من رحمة الله ، تظلم فى وجهه فجاج الحياة .

ثم يقرر السياق أن كل فرد وكل فريق يعمل وفق طريقته واتجاهه ، والحكم على الاتجاهات والأعمال موكول لله ، ويأتى السؤال عن الروح ما هو ؟ والمنهج الذى سار عليه القرآن ـ وهو المنهج الأقوم ـ أن يجيب الناس عما هم فى حاجة إليه ، فلما سألوه عن الروح أمره الله أن يجيبهم بأن الروح من أمر الله اختص بعلمه دون سواه ، والله يمتن على رسوله ﷺ بهذا الفضل ؛ فضل إنزال الوحى واستبقاء ما أوحى به إليه والمنن على الناس أكبر ، فهم بهذا القرآن فى رحمة وهداية ونعمة ، أجيالا بعد أجيال .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ كل جانب من جوانب الدعوة فى نظر المؤمن هو حق كالآخر ، وليس فيها فاضل ومفضول .

٢ ـ متى دبت الهزيمة فى أعماق السريرة فلن تنقلب الهزيمة نصرا .

٣ ـ بالصلاة والقرآن والتهجد به والصلة الدائبة بالله يكون الطريق المؤدية إلى المقام الأسمى عند الله .

٤ ـ صاحب الدعوة لا يمكن أن يستمد السلطان إلا من الله .

٥ ـ فى القرآن شفاء ورحمة .

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾
٢٩١

معانى الكلمات :

ظهيرا : معينا .

صرفنا : رددنا وكررنا بأساليب مختلفة .

مثل : معنى غريب بديع .

كفورا : شديد الجحود للحق .

ينبوعا : عينا لا يجف ماؤها .

كسفا : قطعا .

قبيلا : جماعة أو مقابلة وعيانا .

زخرف : ذهب .

ترقى : تصعد .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن القرآن ـ كسائر ما يبدعه الله ـ يعجز المخلوقون أن يصنعوه أو يضاهوه .

٢ ـ أن نعرف أن الخارقة ليست من صنع الرسول ولا هى من شأنه ؛ إنما هى من أمر الله .

٣ ـ أن نعلم أن المكابرة تقود إلى الجحود والنكران .

المحتوى التربوى :

وكما أن الروح من الأسرار التى اختص الله بها ، فالقرآن من صنع الله الذى لا يملك الخلق محاكاته ، ولا يملك الإنس والجن ـ وهما يمثلان الخلق الظاهر والخفى ـ أن يأتوا بمثله ، ولو تظاهروا وتعاونوا فى هذه المحاولة ، فهذا القرآن ليس ألفاظاً وعبارات يحاول الإنس والجن أن يحاكوها ، إنما هو ـ كسائر ما يبدعه الله يعجز المخلوقون أن يصنعوه ، هو كالروح من أمر الله لا يدرك الخلق سره الشامل الكامل ، وإن أدركوا بعض أوصافه وخصائصه وآثاره .

والقرآن بعد ذلك منهج حياة كامل ، منهج ملحوظ فيه نواميس الفطرة التى تصرف النفس البشرية فى كل أطوارها وأحوالها ، والتى تصرف الجماعات الإنسانية فى كل ظروفها وأطوارها ، ومن ثم فهو يعالج النفس المفردة ، ويعالج الجماعة المتشابكة علاجا متكاملا متناسق الخطوات

فى كل جانب ، فى الوقت الواحد ، فلا يغيب عن حسابه احتمال من الاحتمالات الكثيرة ، ولا ملابسة من الملابسات المتعارضة فى حياة الفرد وحياة الجماعة ؛ لأن مشرع هذه القوانين هو العليم بالفطرة فى كل أحوالها وملابساتها المتشابكة .

أما النظم البشرية فهى متأثرة بقصور الإنسان وملابسات حياته ، ومن ثم فهى تقصر عن الإحاطة بجميع الاحتمالات فى الوقت الواحد ، وقد تعالج ظاهرة فردية أو اجتماعية بدواء يؤدى بدوره إلى بروز ظاهرة أخرى تحتاج إلى علاج جديد .

إن إعجاز القرآن أبعد مدى من إعجاز نظمه ومعانيه ، وعجز الإنسان والجن عن الإتيان بمثله هو عجز كذلك عن إبداع منهج كمنهجه يحيط بما يحيط به .

ويلتفت السياق إلى إعراض الكافرين وبيان ما فى اقتراحاتهم من عنت وجهالة ، وقد كان لهم من خلق رسول الله ﷺ الذى يعرفونه جيداً بالخبرة الطويلة ، ما يدلهم على صدقه وأمانته وهم كانوا يلقبونه الأمين ، ويودعون لديه أماناتهم حتى وهم معه على أشد الخلاف ، وكذلك كان صدقه عندهم مستيقنا كأمانته .

ولا يخفى ما فى اقتراح هذه الآيات من الجهل الكبير بسنة الله فى خلقه ، وبحكمته وجلاله ، فالذى اقترحته قريش فيها ما أرادوا به مصلحتهم دون مصلحة العباد مما يخالف حكمة الله ـ تعالى ـ المقتضية لإخلاء بعض البقاع من العيون النابعة والأنهار الجارية والجنان الناضرة دون بعض ، وإرساء الجبال الشم فى موضع دون آخر لمصالح يعلمها هو ـ جلت عظمته ، ولا يعلمها الخلق ، فليس مقترحهم هذا من العجز فى شىء مع أن مثله لا تثبت به النبوة ، فإننا نعلم أن أناساً قد استنبطوا العيون وغرسوا الجنان من النخيل والأعناب ونحتوا الجبال ولم يكونوا بذلك أنبياء .

وفيما اقترحته قريش ما يناقض إرادة الله ـ سبحانه ؛ فإن طلب إنزال السماء قطعا مقتضٍ لهلاك العالم بحذافيره ، والله يريد إبقاءه إلى أجل معلوم ، ومما اقترحوا ما هو مستحيل فى نفسه غير ممكن وقوعه أصلا ؛ وهو طلب الإتيان بالله والملائكة حتى يشاهدهم المشركون أو غيرهم مما لا يمكن أن يكون فلا يجوز طلبه وليس من أنواع المعجز .

ومما اقترحوه ما لا يصلح للأنبياء ، ولو حصل لم يكن معجزا وهوقولهم وهو طلبهم أن يكون للنبى ﷺ بيت من ذهب ، فإن هذا غير صالح للأنبياء وليس بمعجز لحصول مثله عند أشباه فرعون ، ومما اقترحوه ما وعدوا بعدم إيمانهم به لو حصل وأردفوه بما لا يجوز بأن يرقى فى السماء،ولا يكفى أن يعرج إليها وهم ينظرونه،بل لابد أن يعود إليهم ومعه كتاب يقرؤون فيه على ما ذكر فى الرواية : من الله العظيم إلى فلان وفلان لقوم من قريش بأسمائهم ، أما بعد ، فإن محمداً رسولى فآمنوا به ، والصعود فى السماء لا مزية فيه ؛ لأنهم لن يؤمنوا بالصعود هذا ، فلو

كان لكان عبثا ، وإنزال كتاب عليهم على المعنى المذكور يستلزم جعلهم أنبياء ؛ لأن ذلك وحى مثل التوراة والإنجيل والوحى مختص بالأنبياء ، والكفار عنه معزولون ، فلم يكن شيء مما اقترحوه فى الآيات معجزا ، وإنما هى أمور مستحيلة فى نفسها أو لأمر آخر .

وتبدو طفولة الإدراك والتصور ، كما يبدو التعنت فى هذه المقترحات الساذجة ، وهم يسوون بين البيت المزخرف والعروج إلى السماء ، أو بين تفجير الينبوع من الأرض ومجيء الله ـ سبحانه ـ والملائكة قبيلا ، والذى يجمع فى تصورهم بين هذه المقترحات كلها هو أنها خوارق ، فإذا جاءهم بها نظروا فى الإيمان له والتصديق به ، وغفلوا عن الخارقة الباقية فى القرآن ، وهم يعجزون عن الإتيان بمثله فى نظمه ومعناه ومنهجه ، ولكنهم لا يلمسون هذا الإعجاز بحواسهم فيطلبون ما تدركه الحواس .

ويبين السياق أن الخارقة ليست من صنع الرسول، ولا هى من شأنه ، إنما هى من أمر الله ـ سبحانه ـ وفق تقديره وحكمته ، وليس من شأن الرسول أن يطلبها إذا لم يعطه الله إياها ، فأدب الرسالة وإدراك حكمة الله فى تدبيره يمنعان الرسول أن يقترح على ربه ما لم يصرح له به ، فهو يقف عند حدود بشريته،ويعمل وفق تكاليف رسالته ، لا يقترح على الله ولا يتزيد فيما كلفه إياه .

ويمضى السياق ليذكر أن الشبهة التى عرضت للأقوام ـ من قبل أن يأتيهم محمد ﷺ ومن بعد ما جاءهم ، والتى صدتهم عن الإيمان بالرسل وما معهم من الهدى ـ أنهم استبعدوا أن يكون الرسول بشرا ولا يكون ملكا ، وقد نشأ هذا الوهم من عدم إدراك الناس لقيمة بشريتهم وكرامتها على الله ، فاستكثروا على بشر أن يكون رسولا من عند الله، كذلك نشأ هذا الوهم من عدم إدراكهم لطبيعة الكون وطبيعة الملائكة ، وأنهم ليسوا مهيئين للاستقرار فى الأرض وهم فى صورتهم الملائكية حتى يميزهم الناس ويستيقنوا أنهم ملائكة .

وما دامت هذه سنة الله فى خلقه ، فهو يأمر الرسول ﷺ أن ينهى معهم الجدل ، وأن يكل أمره وأمرهم إلى الله يشهده عليهم ، ويدع له التصرف فى أمرهم ، وهو الخبير البصير بالعباد جميعا ، وهو قول يحمل رائحة التهديد .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ القرآن منهج حياة كامل والنظم البشرية متأثرة بقصور الإنسان وملابسات حياته .

٢ ـ ليس من العقل أن نسعى فى طلب ما نعجز عنه .

٣ ـ المكابرة والعناد يؤديان إلى ضلال سعى الإنسان .

٤ ـ التفاهم حسب سنة الله لا يتم إلا بين المتجانسين ، فإذا اختلفت الأجناس فلا تفاهم إلا أن يشاء الله .

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا
وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ ۖ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ
هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ۖ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ
يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾
٢٩٢

معاني الكلمات :

خبت : سكن لهيبها .

سعيرا : لهبا وتوقدا .

رفاتا : أجزاء مفتتة أو غباراً أو ترابا .

لا ريب : لا شك .

قتورا : مبالغا فى البخل .

بصائر : بينات تبصِّر من يشهدها .

مثبورا : هالكا أو مصروفا عن الخير .

لفيفا : جميعا مختلطين .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن الإنسان مهيأ للهدى والضلال .

٢ ـ أن نقف على صفة الإنسان من حيث البخل والجزع والهلع .

٣ ـ أن نعلم أن المؤمن قوى بالحق .

٤ ـ أن نعرف عاقبة الطغيان عندما يفكر فى الرد على كلمة الحق .

المحتوى التربوى :

لقد جعل الله للهدى والضلال سننا وترك الناس لهذه السنن يسيرون وفقها ، ويتعرضون لعواقبها ، ومن هذه السنن أن الإنسان مهيأ للهدى وللضلال وفق ما يحاوله لنفسه من السير فى طريق الهدى أو طريق الضلال ، فالذى يستحق هداية الله بمحاولته واتجاهه يهديه الله وهذا هو المهتدى حقا ؛ لأنه اتبع هدى الله ، والذين يستحقون الضلال بالإعراض عن دلائل الهدى وآياته لا يعصمهم أحد من عذاب الله .

ويرسم السياق عاقبة الضالين فى مشهد من مشاهد القيامة مخيف ، فالله ـ جل جلاله ـ يحشرهم يوم القيامة فى صورة مهينة مزعجة على وجوههم يتكفؤون مطموسين محرومين من جوارحهم التى تهديهم فى هذا الزحام ـ جزاء ما عطلوا هذه الجوارح فى الدنيا عن إدراك دلائل الهدى ، ومأواهم جهنم فى النهاية ، لا تبرد ولا تفتر .

وهى نهاية مفزعة وجزاء مخيف ، ولكنهم يستحقونه بكفرهم بآيات الله واستنكروا البعث ـ واستبعدوا وقوعه ، والسياق يعرض هذا المشهد كأنه هو الحاضر الآن ، وكأنها الدنيا التى كانوا فيها قد انطوت صفحتها ، وصارت ماضيا بعيدا ، وذلك على طريقة القرآن فى تجسيم المشاهد وعرضها واقعة حية ، تفعل فعلها فى القلوب والمشاعر قبل فوات الأوان .

ثم يعود السياق ليجادلهم بالمنطق الواقعى الذى يرونه فيغفلونه ، فأية غرابة فى البعث ؛ والله خالق هذا الكون الهائل قادر على أن يخلق مثلهم ، فهو قادر إذاً على أن يعيدهم أحياء ، وجعل لهم أجلا أنظرهم إليه وأخرهم إلى موعده ولكن كفروا فكان جزاؤهم عادلا بعد منطق الدلالات ومنطق المشاهدات ، ووضوح الآيات .

ويمضى السياق فى رده على أولئك الذين يقترحون على الرسول ﷺ تلك المقترحات المتعنتة ؛ من بيوت الزخرف وجنات النخيل والأعناب والينابيع المتفجرة أنهم بخلاء أشحاء حتى لو أن رحمة الله قد وكلت إليهم خزائنها لأمسكوا وبخلوا خوفا من نفادها ، ورحمة الله لا تنفد ولا تغيض .

ويقول القاسمى : « وذكر هذا المعنى فى أسلوب بيان ما فطر عليه الإنسان تذكيرا له بنقصه وضعفه، وإشفاقه وحرصه ليعلم أنه غير مخلوق سدى يُخَلَّى بينه وبين ما تتقاضاه به نفسه وهواه ، والمعنى : أفلا تعتبرون بسعة رحمته وعميم فضله مما يبرهن على وحدانيته فى ألوهيته ، ولا ترون ما أنتم عليه من أنكم لو ملكتم ما لا نفاد له من خزائنه لضننتم بها ، مما يدلكم على أنه هو مالك الملك » .

والله ـ تعالى ـ يصف الإنسان من حيث هو إلا من وفقه الله وهداه ، فإن البخل والجزع والهلع صفة له ، ورحمة الله وسعت كل شىء ، ولا يخشى نفادها ولا نقصها ، والله ـ جل وعز ـ ينفرد بملك هذه الخزائن كما انفرد بتلك القدرة الباهرة من خلق السموات والأرض ؛ كى تتجلى لهم قدرته العظمى ، وسعة خزائنه الملأى ، فيصلوا بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه الرسول ﷺ وحقيقة ما يدعوهم إليه .

وينتقل السياق فيذكر أن كثرة الخوارق لا تنشئ الإيمان فى القلوب الجاحدة ، وها هو ذا موسى قد أوتى تسع آيات بينات . وهى : اليد البيضاء والعصا وما أخذ الله به فرعون وقومه من السنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ـ ثم كذب بها فرعون وملؤه فحل بهم الهلاك جميعا ، واسأل بنى إسرائيل فهم شهداء على ما كان بين موسى وفرعون من اتهام الثانى للأول بأنه مغلوب على عقله بالسحر .

يقول صاحب الظلال : « كلمة الحق وتوحيد الله والدعوة إلى ترك الظلم والطغيان والإيذاء لا تصدر فى عرف الطاغية إلا من مسحور لا يدرى ما يقول ، فما يستطيع الطغاة من أمثال فرعون أن يتصوروا هذه المعانى، ولا أن يرفع أحد رأسه ليتحدث عنها وهو يملك قواه العقلية ، فأما موسى فهو قوى بالحق الذى أرسل به مشرقا منيرا، مطمئن إلى نصرة الله له وأخذه للطغاة».

وقد أوتى موسى عليه السلام آيات أخر كثيرة ، منها : ضربه الحجر بالعصا وخروج الماء منه ، وتظليلهم بالغمام ، وإنزال المن والسلوى ، وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ، ولكن ذكر هنا التسع الآيات التى شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها ـ كفراً وجحوداً ، ولهذا قال موسى لفرعون : لقد علمت أن الذى أنزل هذه الآيات التسع رب العالمين رب السموات والأرض بينات مكشوفات ، ولكنك معاند ومكابر ، وإنى لأظنك هالكا ومدمِّراً جزاء تكذيبك بآيات الله وأنت تعلم أن لا أحد غيره يملك هذه الخوارق .

وعندئذ يلجأ الطاغية إلى قوته المادية ، ويعزم أن يزيلهم من الأرض ويبيدهم ، فكذلك يفكر الطغاة فى الرد على كلمة الحق ، وعندئذ تحق على الطاغية كلمة الله ، وتجرى سنته بإهلاك الظالمين وتوريث المستضعفين الصابرين فكان الإغراق لفرعون ومن معه ، وإسكان الأرض لبنى إسرائيل ، وهكذا كانت عاقبة التكذيب بالآيات ، وهكذا أورث الله الأرض للذين كانوا يستضعفون ، موكولين فيها إلى أعمالهم وسلوكهم ـ وقد عرفنا كيف كان مصيرهم فى أول السورة ـ أما هنا فهو يكلهم هم وأعداءهم إلى جزاء الآخرة .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ الذى يستحق هداية الله بمحاولته واتجاهه يهديه الله .

٢ ـ الشح من طبع الإنسان إلا أن يعالجه بالإيمان والتقوى فيقيه الله منه .

٣ ـ المعجزات والخوارق لا تنشئ الإيمان فى القلوب الجاحدة .

٤ ـ الله ينتصر لأوليائه ، ويهلك أعداءه .

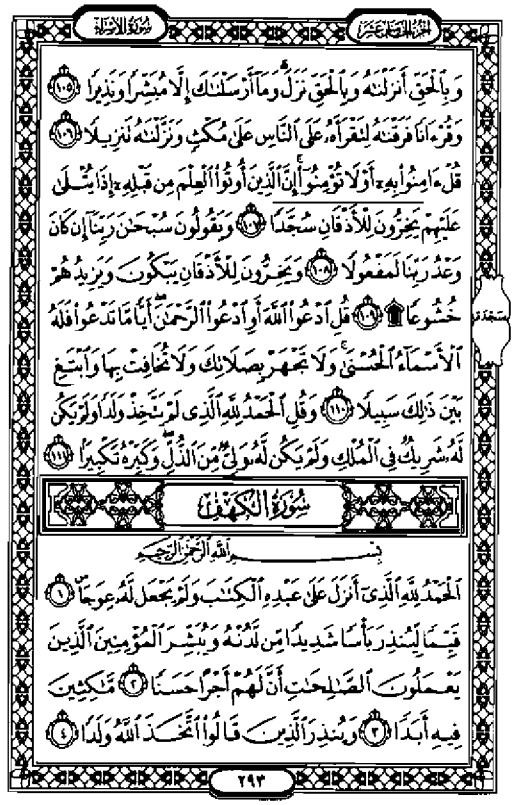
وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ
وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ
ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الْكَهْفِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ﴿١﴾
قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ
فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

٢٩٣

معانى الكلمات :

فرقناه : فصلناه أو أنزلناه مفرقا .

مكث : تأن وتمهل .

تخافت : تسر .

عوجا : اختلالا واختلافا وانحرافاً .

قيما : مستقيما معتدلا .

بأسا : عذابا .

ماكثين : باقين .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نقف على حكمة نزول القرآن مفرقا .

٢ ـ أن نقف على تأثير القرآن فى القلوب المتفتحة لاستقبال فيضه .

٣ ـ أن نعلم أنه لا لبس فى العقيدة ولا غموض .

٤ ـ أن نعلم الغرض من إنزال القرآن الكريم .

المحتوى التربوى :

يبين السياق أن هذا القرآن قد جاء بالحق ليكون آية دائمة ، ونزل مفرقا ليقرأ على مهل فى الزمن الطويل ، لقد جاء هذا القرآن ليربى أمة ، ويقيم لها نظاما ، فتحمله هذه الأمة إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وتعلم به البشرية هذا النظام وفق المنهج الكامل المتكامل ، ومن ثم فقد جاء هذا القرآن مفرقا وفق الحاجات الواقعية لتلك الأمة ، ووفق الملابسات التى صاحبت فترة التربية الأولى ، والتربية تتم فى الزمن الطويل ، وبالتجربة العملية فى الزمن الطويل ، جاء ليكون